استعداداً للدخول في متاهة كبرى خلقها المعراخ وتابعها الليكود: الاحتلال. اذا اردت ان تكون حرّاً، عليك ان تعيش بحرّية وتخرج. معنى هذا التراجع عن الاراضي المحتلة، والعيش بسلام مع العرب.

وبدا الموقف، في رواية «نهاية امر»، غاية العبثية: فمئير (ابن البلاد) عاش في غربة في البلاد، وغربة في امستردام، ولندن، وشعر بالفساد يكمن في البلاد وقريب منه، وكغيره مسؤول عنه. حاول الهرب منه، لكنه صدمه. سافر الى الخارج، فاصيب بفزع من الاغراب، والعرب بالذات. غربة في الخارج، وغربة اشد في الداخل. اي غربة يحتمل؟ لقد كان الوضع بائساً في «تذكار ما جرى». امّا في «نهاية امر»، فالهاوية قريبة. وأين المخرج؟ اسئلة تركها شبتاي معلقة كالابطال المعلّقين في سماء تل ـ ابيب، والذين حاربوا الرتابة والعفن والانغلاق بنسج قصص الحب والتعاسة والهرب بالتفاصيل الصغيرة.

كتب الناقد كلدرون، معلّقاً على كل ذلك: «ثمن التنازل عن الهاوية؛ هو الشفقة على الذات. بحر من الشفقة على الذات يملأ الصفحات في ' نهاية امر ' »[٣٤]. ملاحظة لامعة لناقد لامع لا يفصل بين الواقع والادب والسياسة. فما الذي يبقى للانسان في بحر من الفساد والاحتلال والازمات سوى الشفقة على نفسه والرثاء لحاله؟ ان الشخص يستعين بنفسه ليدفىء بقايا نفسه في برد قارس من الاحتلال وسياسة التمييز.

بدا شبتاي روائياً ممتازاً في عملية الروائيين الوحيدين: انه تحسّر على التغييرات الجارية في تل ـ ابيب، وتحسّر على التغيير الطارىء على البشر حواليه واستذكر ما كان. انه قريب من الرومانسيين الجدد. رومانسي جديد وجد متعة كبيرة في ربط الماضي بالحاضر للوقوف على المستقبل الغامض والمقلق.

في لهجة شبتاي نزعة تهكّمية. ابطاله (الشباب) ساخرون ولاذعون وميّالون الى الانطواء والحزن في احيان. فما الذي اورثه اياهم الجيل المؤسس العمالي؟ الخواء، اللاثبات، اللامعنى، الازمات والاطارات الدوغمائية الجاهزة، ناهيك عن المرض والفساد المتفشيين بينهم والموت الذي يتربص بهم.

سخرية او رثاء؟ أمل او ألم؟ حرية او قمع؟ نبرة عالية من الحزن وقليل من الفرح بالتفاصيل العابرة والنساء الجميلات.

الذات في مرآة الضمير. والآخر في نظر الابن الذي عاش الحلم الكبير. «لن تكون غريباً في بلادك» مقولة سقطت مع الايام. غرباء في «بلادهم». بحثوا، دائماً، عن معنى. احيطوا بآباء اخطأوا بحقهم. سيل هائل من التراكمات والعقد والمشاكل. شبتاي مزج كل ذلك في روايتيه الكبيرتين. قدّم تجارب ذاتية، وعصر تجارب الآخرين، واستشرف ماسيؤول اليه الحال. والقارىء الذي يعيش كل ذلك يومياً قد لا يفاجأ او يسأل: «كل ذلك يجرى قريباً مني وانا لا اعرف؟!». حيوات شخصيات كثيرة قدّمت في الروايتين واثارت اسئلة كبيرة لم تحتملها الشخصيات نفسها، وحاولت الهرب منها.

لقد قدّم شبتاي، في روايتيه وبعض اقاصيصه، صورة طبيعية للمجتمع الاسرائيلي. واهمية طرح هذا الكاتب هو انه قدّم نماذج كثيرة من حيوات شخصيات عديدة، الى درجة ان الوضع الاسرائيلي العام انعكس، تمام الانعكاس، في اعماله. ويستطيع القارىء ان يستشف الكثير من القضايا والاوضاع من خلال كتب هذا الكاتب، التي تبدو صورة صادقة لحياة هذا المجتمع. والملاحظة الرئيسة التي تسم اعماله هي خوفه الدائم من الانحدار، او السقوط؛ انه كاتب قلق من كل ما يجرى، وحاول ان يصوّر الامور بصدق فني رهيف جداً. وللوهلة الاولى، يخيّل للقارىء انه يقرأ مادة